المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الآطام أنموذجا

Historical Landmarks in Poetic Texts in Medina: The fortified towers as a Model

إعداد

د. أحمد بن علي بن عبد العزيز الربعي

Ahmed Ali Abdul-Urduni

أستاذ مشارك قسم التاريخ والتراث، كلية اللغات والعلوم الإنسانية - جامعة القصيم

عبد القادر انجاي

Abdul-Qader Anjay

باحث في مرحلة الدكتوراه قسم التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية - الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

Doi: 10.21608/ajahs.2025.440949

استلام البحث ١٤ / ٤ / ٢٠٢٥

قبول البحث ١٢ / ٦ / ٢٠٢٥

الربعي، أحمد بن علي بن عبد العزيز وانجاي، عبد القادر (٢٠٢٥). المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الآطام أنموذجا. ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٩(٣٦)، ٦٦٥ ـ ٦٩٤.

http://ajahs.journals.ekb.eg

المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الآطام أنموذجا

المستخلص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور الشعر في المعالم التاريخية الأثرية في المدينة المنورة، وخلص فيه الباحث إلى ذكر هذه الآطام التي كانت تعتبر معالم عمرانية بارزة للمدينة المنورة منذ عهد الجاهلية إلى ما بعد الإسلام، والذي كانوا ينفقون عليها الأموال الطائلة في بنائها لمهمة التحصين وغيرها من المهام التي كانت تقوم بها، مثل مهمة الاستطلاع والادخار، ونحو ذلك، وكشف البحث عن دور الشعراء في تخليد هذه المعالم في أشعارهم، وخاصة الآطام التي كانت المدينة تتميز بها عن غيرها، كما تحدث عن علاقة الشعر بالتاريخ في تسجيل الأحداث والوقائع، وخلص إلى ذكر أبرز النتائج التي توصل إليها من خلال طرح بعض الجوانب التي تتضح فيها هذه العلاقة وضوحا جليا.

Abstract:

This research aims to highlight the role of poetry in the historical archaeological landmarks in Medina.The researcher concludes by mentioning these fortified towers, which were considered prominent architectural landmarks of Medina from the pre-Islamic era to the post-Islamic era. Significant resources were invested in their construction for fortification and other functions, such as scouting and the storage of munitions; the research also reveals the role of poets in immortalizing these landmarks in their poetry, especially the fortified towers, which distinguished Medina from other region, it also examine the relationship between poetry and history in chronicling events and facts. The researcher concluded by mentioning the most prominent results he reached by presenting some aspects in which this relationship appears clearly.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد: فقد شهدت المدينة المنورة حضارة عمرانية عريقة، وارتبط تاريخها بالمعالم الأثرية فيها، وتعتبر هذه المعالم آثارا تشهد بالرقيّ العمراني الذي عاشه أهل هذه المدينة الطيبة المباركة عبر القرون الماضية، ولا يزال بعض الآثار قائما، وقد

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

تعدّدت أنواع هذه المعالم ما بين مساجد أثرية، وآبار، ووديان، وآطام تاريخية، وإن من محاسن الحضارة الحديثة الاحتفاظ بهذه الآثار التي تدخل في عمق التاريخ، وقد نقل من كلام النبي ﷺ ما يشهد للتنويه بشأنها والاحتفاظ بها، ومنع هدم هذه الآطام، وإن كانت الآثار المروية في ذلك فيها مقال، وقد نوّه محمد شراب بأهمية هذه الآثار وضرورة إبقاءها كمعالم أثرية تشهد على ما للأمم من حضارة وقدرة على البناء والتفكير، حين يقول: إن الأمم اليوم تعنى بالآثار وتسعى لتحديد أماكنها إن كانت زائلة، لا لتقديسها، ولكن لأن هذه المعالم والآثار تدل على حضارة الشعوب وقوتها العمرانية، ومى قدرتها على التفكير، كما تدل على سيادة الأمم، ولذلك وجدنا جميع الأمم تعتني بآثارها ما عدا العرب، إلى أن جاء وقت وجدت فيه آثارها عند أعدائها، فيقدمونها لهم وللعالم حسب التفسير الذي يرونه، وهدفهم أن يجعلوا العرب متأخرة، وأن يثبتوا تفوق أروبا في الحضارة، وهذا ما حصل بالفعل حيث اعتقد الكثير أن العرب ليست أمة عريقة في الحضارة ولا أهلا للصناعة والاختراع [1].

هذا: ولما كان للشعر في كلام العرب منزلة عالية واعْتُبر كسجلٍّ تاريخي لتدوين الأحداث، تبارى الشعراء في ذكر هذه المعالم في أشعارهم، وكان للآطام نصيب وافر من تلك الأشعار، ولذلك جاءت فكرة هذا البحث حيث يقوم بتجلية هذا الجانب الذي لم يُعط اهتماماً لائقاً به، فجاء عنوانه كالتالي: " المعالم التاريخية في النصوص الشعرية في المدينة المنورة الآطام نموذجا"

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث من خلال النقاط التالية:

١. حاجة القرّاء إلى دراسة متخصصة في المعالم التاريخية من خلال الشعر العربي، وارتباط الموضوع بجانب من جوانب معالم هذه المدينة المباركة المدينة المنورة.
٢. عدم اطلاع الباحث على دراسة علمية مستقلَّة تهتم بإبراز أثر الشعر والشعراء في ذكر المعالم التاريخية في المدينة المنورة.
٣. إبراز الجانب البيني في الدراسات الأدبية، من خلال بيان ارتباط التاريخ بعلوم أخرى كالأدب وغيره.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى:

١. التعريف بالآطام وتطوُّرها التاريخي وارتباطها بالمدينة المنورة وإبراز كونها معلماً بارزاً من معالم المدينة المنورة.

---

[1] انظر: شراب، محمد بن محمد، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، ١٤١١ه/ ١٩٩٠م، دار القلم دمشق بيروت، ص: ١٤١.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٢. إبراز دور الشعراء في تخليد المآثر والمفاخر من خلال ذكرهم المعالمً التاريخيةً في أشعارهم .
٣. بيان العلاقة بين الشعر والتاريخ في تسجيل الوقائع والأحداث التاريخية من خلال عقد مقارنة بينهما.

مشكلة البحث:

تتجلى مشكلة هذا البحث في الأسئلة التالية:

- ما المقصود بالآطام في معالم المدينة المنورة، وما هو أبرز الأدوار التي كانت تقوم بها؟
- ما هو دور الشعراء في تخليد مآثرهم ومفاخرهم من خلال أشعارهم؟
- ما هي علاقة الشعر بالمعالم الأثرية عموما، والآطام خصوصا؟

منهج البحث:

اتبع البحث منهجاً تاريخياً، من خلال عرض نماذج من آطام المدينة المنورة التي وردت في أشعار العرب، وتحليها.

أدبيات البحث:

التمهيد: التعريف بالمعالم والآطام ونشأتها بالمدينة المنورة

أ-تعريف المعالم:

قال ابن فارس: المعالم جمع معْلم، والعين واللاَّم والميم أصل صحيح واحد، يدلُّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره [٢].

فهو مشتق من قولهم: أعلمت الثوب إذا جعلت فيه علامة أو جعلت له علَماً، وأعلمت على موضع كذا من الكتاب علامة [٣].

ولهذه الكلمة -على اختلاف اشتقاقاتها- معان عديدة، فيقال: معْلَم الطَّريق والدين: أي دلالته، ومعلم كل شيء: مظنته، ويقال: فلان معْلم للخير أي يدلّ عليه، والمعلم أيضا: الأثر يستدلُّ به على الطريق، وهذه المعاني ترجع إلى الوسم والعلم [٤].

وعكس المعالم المجاهل، يقال: أرض مجهل أي لا أعلام فيها يهتدى بها والجمع مجاهل، قال الشاعر: [٥]

---

[٢] ابن فارس، أحمد بن فاس، مقاييس اللغة د.م دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م، ج٤، ص ١٠٩.

[٣] انظر: الأزهري محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م، ج٢،ص ٢٥٤.

[٤] ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤ه/١٩٩٣م/ ج١٢، ص٤٢٠.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

غدت من علـــيه بعدما تمَّ خِمْسُها ...تصِـلُّ وعن قيضٍ بزيزاءَ مجهلِ [٦].

وعلى ضوء التعاريف اللغوية السابقة يمكن القول بأن المعالم علامات وآثار، وقد سميت الأماكن التي يعتنى بها بالمعالم، وهو لقب مشهور عند أهل العلم، ومن ذلك قولهم معالم المدينة المنورة البلدة الطيبة [٧].

ب-تعريف الآطام:

قال ابن فارس: الهمزة والطاء والميم، يدلُّ على الحبس والإحاطة بالشيء، يقال للحصن الأطم وجمعه آطام، قال امرؤ القيس [٨]:

وتيماء لم يترك بها جـذع نخلة ... ولا أطمـاً إلا مــشيداً بجندل [٩].

وهذه الكلمة لها معان عديدة حسب اشتقاقها، وأشهر معانيها -وهو المقصود عند إطلاقها في البحث- الحصون، والقصور، وبالأخص حصون أهل المدينة. قال أوس بن مغراء[١٠] السعدي:

بثَّ الجنــودَ لهـم في الأرض يقتلهم... مـا بين بصــرى إلى آطام نجرانا

ومن معانيها اللغوية: الارتفاع: ومنه قولهم آطام مؤطمة أي مرتفعة، وفلان يتأطَّم على فلان، مثل يتأجَّم، قال الأصمعي: تأطَّم السيل، إذا ارتفعت في وجهه كالأمواج ثم تكسر بعضها على بعض، ومنه تأطَّمت النار: ارتفع لهبها، وتأطم عليّ فلان: تطاول في غضبه [١١].

---

[٥] ورد البيت منسوب للشاعر مزاحم بن الخارث العقيلي في: العبني بدر الدين محمود، شرح المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» ت: علي محمد فاخر، وجماعة، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

[٦] الزبيدي، محمد بن أحمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، الفكر ١٤١٤ه/١٩٩٣م، ج١٤، ص ١٣٠.

[٧] الصاعدي، سعود بن عيد، معجم المعالم الأثرية في المدينة المنورة في ضوء المصادر الأصلية والمراجع الحديثة، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ١٤٣٨ه/ ٢٠١٦م، ص ٣٤.

[٨] انظر ديوان امرئ القيس، ت المصطاوي، ط٢، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م، ص: ٦٦.

[٩] ابن فارس، مقاييس اللغة ج١، ص ١١٢.

[١٠] ورد البيت منسوبا لأوس في لسان العرب ج١٢، ص ١٩.:

[١١] الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م، ج٥، ص ١٨٦٢؛ انظر: الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م، ج١، ص٣٠.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ومن معانيها اللغوية حسب الاشتقاق، احتباس البطن، يقال: أُؤْتطم على الرجل، ومنه قولهم بعير مأطوم إذا لم يبُل بسبب داء به، والأطيمة: موقد النار، قال الأفوه [١٢]:

في مـــوطن ذرب الشبا فـــكأنما.... فيه الرجـــال على الأطائم واللظى

والأطوم: السلحفاة البحرية [١٣].

ويقال آجام بالجيم بمعناها، نقل أبو عبيد عن الأصمعي: أن الآطام والآجام بمعنى الحصون، وواحدها أطم وأجم [١٤].

ويمكن القول بأن المعاني المذكورة للآطام تدور حول الحبس والإحاطة بالشيء كما قال ابن فارس، ومن أشهر معانيه الحصن المبني بحجارة، أو بناء مرتفع كالحصن كما عبر به ابن الجوزي، حين يقول: وكان بلال يؤذّن على أطم، الأطم واحد الآطام، وهي الأبنية المرتفعة كالحصون ويقال له أجم أيضا [١٥].

وعلى ضوء هذه التعاريف اللغوية يمكن القول بأن الأطم هو: البيت المربع المسطح، وأن الآطام بلغة أهل المدينة إذ ذاك تعني القصور، وإذا كانت هذه الآطام واسعة ومسكونة دائماً بمالكها وسيدها ومعه خدمه وحاشيته سميت حصوناً مثل حصن كعب بن الأشرف [١٦].

وقد حاول بعض الباحثين إرجاع الكلمة إلى المعنى العبري ، فيقول ولفنسون: إن الكلمة مشتقة من اللغة العبرية، حيث يقال: أطمَّ عينيه إذا أغمضهما، وأطم أذنيه إذا سدّهما، وذكر أن الأطم في الجدران والحيطان: تعني النوافذ المغلقة من الخارج، المفتوحة من الداخل، وأنها تستعمل في الحائط الضخم، فيمكن أن نفترض أن اليهود سموا الآطام بهذه التسمية لإمكان إغلاق أبوابها، فتفتح نوافذها من الداخل [١٧].

---

[١٢] ورد البيت منسوبا إليه في لسان العرب ج١٢، ص ٢٠، ولم أجده في ديوانه المطبوع.

[١٣] الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ج٥، ص١٨٦٢.

[١٤] الأزهري، تهذيب اللغة ج١٤، ٣٢. انظر: الخطابي، حمد بن محمد، غريب الحديث د.ت دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ه/١٩٨٢م، ج١، ص ١٠٥.

[١٥] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، غريب الحديث لابن الجوزي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٨٥م، ج١، ص ٣١. انظر: الإفصاح في فقه اللغة، ط٣، دار مكتب الإعلام الإسلام، قمُ، ١٤١٠ه/ ١٩٨٩م، ج١، ص ٦٢٥.

[١٦] الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، ط١، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م، ص: ٢١.

[١٧] سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، ط٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م، ج١، ص ٣٧٨.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

الاشتقاق اللغوي للآطام:

أكثر الآطام الواردة لها دلالة لغوية تنبثق من اشتقاقاتها اللغوية، فنجد العلماء والمؤرخين يهتمون بهذا الجانب،

ونجد الفيروزآبادي في كتابه المغانم المطابة في معالم طابة من أكثر من اعتنى ببيان الاشتقاق اللغوي لهذه الآطام وضبط ألفاظها، فمن الآطام التي لها اشتقاق لغوي -على سبيل المثال-:

رَاتِجٌ، بعد الألف تاء مُثنَّاة فوقية، وجيم: أُطم من آطام المدينة وسميت النَّاحية به وكانت لليهود لبني جشم بن الحارث، والمَراتِجُ: الطُّرقُ الضَّيقة، يقال: أَرتجَ الباب: إذا أغلقه، والرِّتاج: هو البابُ المغلق [١٨].

ومن هذا الآطام التي ذكر لها العلماء اشتقاقاً لغوياً أطم واقِمٌ، الذي نسبت إليه الحرة، فقالوا: الموقوم: المحزون، يقال: وقمه الأمر إذا ردّه عن حاجته وإربه، وكأنه سمي بذلك لحصانته، ومعنى ذلك أنه يردّ عن أهله [١٩].

ومنها الشَّرْعَبيُّ، وهو أُطُمٌ من آطام المدينة وكانت لليهود، والشرعب الطويل ولعلَّهم نسبوه إليه، لكونه طويلاً، قال قيس بن الخطيم:

ألا إنَّ بين الــشَّرعبيِّ وراتجٍ ... ضـراباً كتَخــذيم السَّيالِ المعضَّدِ [٢٠]

وهذه أمثلة قليلة من بين عشرات الآطام التي لها دلالة لغوية، وقد تعمق بعض الباحثين في هذا المبحث فذكر أن الصياغة اللغوية لهذه الآطم تؤكِّد دلالة معانيها، وأن الغالب منها تلك التي جاءت بصيغة الصفة المشبهة التي تدلُّ على الثبوت والدوام، مثل الأجرد، والأشنف، والأطول، والأغلب، كما ورد بعض الآطام بصيغة اسم الفاعل التي تدل على التجدد مثل أطم واضم وجاعس وواسط وفارع،، وألمح إلى أن بعض الآطام منتهية بالألف واللام التي تدلُّ على المعنى، مثل أطم الضحيان، والزيدان، والريان، وبعضها جاءت على صيغة المبالغة كأطم الهجيم والشنيف، وهي صيغة تدل على الكثرة، وأخرى جاءت على صيغة اسم المفعول مثل أطم المسير، والمزدلف [٢١].

المبحث الأول: آطام المدينة التاريخية

كانت فكرة بناء الآطام قديمة قِدم الأمم المتحضرة على وجه الأرض، حيث عرفت كمعلم أثري في كثير من الأمم السابقة، سواء في ذلك العرب في جاهليتهم، أو غيرهم من الأمم كالهند وغيرها، وأما بخصوص المدينة المنورة، فإن المعلوم أن

---

[١٨] الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج٢، ص٢٨٧.

[١٩] ياقوت الحموي، معجم البلدان ط٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م، ج٥، ٣٥٤.

[٢٠] الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج٢، ٣٥٣.

[٢١] موسوعة مكة والمدينة المنورة، آطام المدينة المنورة، دار الفرقان للنشر، ص ٨٦.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

اليهود هم أكثر من ابتنى الآطام فيها، وهي تدلُّ دلالة واضحة على ما كانت عليه اليهود من القوة والمنعة حتى خيّل لهم من خلال هذه الأبنية المحصنة أنها مانعتهم من الله، كما عبَّر عن ذلك القرآن في مواضع، وهو بذلك يشير إلى هذه الأبنية الشاهقة وإن لم ترد تسميتها بالآطام في القرآن إلا أنها سميت بأسماء لها نفس الدلالة كالحصون والصياصي، لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ[٢٢] وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا[٢٣].

ولا ريب أن هذه الآطام كانت وسيلة من وسائل توطيد اليهود لمركزهم في المدينة، وإقراراً للهيبة التي كانوا يتمتعون بها في نفوس العرب [٢٤].

وكانت يثرب في وقت هجرة النبي ﷺ إليها تشمل عدَّة دوائر يسكنها بطون عربية ويهودية، ولكل بطن من هذه البطون دائرة خاصة تتبعه، والدائرة تنقسم إلى قسمين، قسم يضم أراضي زراعية بما فيها من منازل والسكَن، وقسم يشتمل على الآطام، وكانت بالطبع محكمة البناء محصنة، تغلق أبوابها بإحكام ويمكن فتحها من الداخل.

وكان كل بطن من البطون الكبيرة يضم طائفة من البطون الصغيرة تعد موالية، يشرف على مزارعها ومتاجرها ويرعى حقوقها، وإذا وقعت إغارة عدها واقعة على رعاياه فطلب بالثأر أو دفع الدية، وكان البطن الصغير يلجأ إلى آطام البطن الكبير إذا هاجمهم عدو، وهو مضطر للدخول في الحرب إلى جانب البطن الكبير، ومع ذلك فقد حافظت البطون الصغيرة على شخصيتها ولم تسمح البطون الكبيرة أن تحد من حريتها، وكان من نتيجة ذلك أن تجنبت البطون الكبيرة كل ما من شأنه أن يهيج البطون الصغيرة [٢٥].

وكانت المدينة في ذلك الوقت على شاكلة مكة لا يحيط بها سور ولا حائط، ولا خندق يحول أمام من يريد بأهلها سوءا، فكانت البيوت والآطام هي عماد دفاعهم عن

---

[٢٢] سورة الحشر، الآية / ١٤.

[٢٣] سورة الأحزاب، الآية /٢٦.

[٢٤] انظر: الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، د.ت، ص: ٢٤٥؛ انظر: عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ط١، ١٤٠٢ه/ ١٩٨٢م، د.م ص:١٨.

[٢٥] سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ج١، ٣٧٨؛ انظر: الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ص: ٢٦٥؛ انظر: محمد السيد الوكيل، بثرب قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦ه/١٩٩٦م؛ انظر: إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥ه/ ١٩٢٧. ص ١١٦.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

أنفسهم بالتحصُّن فيها، فكان العامة يتحصنون في بيوتهم، أما الأغنياء والموسرون فإنهم كانوا يتحصنون في آطامهم ومن معهم من الحواشي فيقاتلون العدو من فوق السطوح بالحجارة والسهام، حتى إن الأوس والخزرج تحاربوا على الآطام، وأرَّخوا تلك الحرب ب"بعام الآطام" [٢٦].

وكانت لهذه الآطام مكانة مرموقة في المجتمع المديني، حتى إنهم كانوا يسمون الناحية الكاملة باسم أطم من آطامهم كما سموا حرة واقم[٢٧] بهذا الأطم، وكذلك أطم السنح [٢٨]، والمعروف أن السنح هي منازل بني الحارث بن الخزرج ، وكان أطم من آطام المدينة سميت به تلك الناحية [٢٩].

وكانت فكرة الآطام قديمة حيث وجدت في الحجاز وفي نجد، وخيبر وتيماء والطائف، وصنعاء ونجران وغيرها ولا تزال آثارها باقية، ولعل تطوَّر هذا النوع من البناء إنما كان في المدينة، وإن كان عهد ابتداعه مُوغلاً في القِدم، وكانت حصون اليمامة تعرف باسم البتل، وهو حصن مربع مستطيل في السماء مثل الصومعة ويكون من طين، ويختلف طولها فمنها ما كان طوله مائتي ذراع نحو السماء، وقيل وجد منها على عهد طسم [٣٠] وجديس [٣١] ما طوله خمسمائة ذراع وهم سكانها القدماء، ومما يدل على عروبة فكرة ابتناء الآطام ما يذكر أن بني أنيف [٣٢] وكانوا

---

[٢٦] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، بيروت، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م، ج٧، ص ١٣١.

[٢٧] حَرَّةُ واقِمٍ: إحدى حرّتي المدينة المنورة، وهي الشرقية، انظر: معجم البلدان ج٢، ص ٢٤٩؛ انظر: شراب محمد بن محمد، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، ١٤١١ه/ ١٩٩٠م، دار القلم، دمشق- بيروت ص ١٠٠.

[٢٨] إحدى محالّ المدينة، وبها كان منزل أبي بكر الصدّيق، رضي الله عنه، ياقوت، معجم البلدان ج٣، ٢٦٥؛ انظر: شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ص: ١٤٤..

[٢٩] ياقوت، معجم البلدان ج٥، ٣٥٤؛ انظر: :الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار ص: ٣٢٥.

[٣٠] هم بنو طسم بن لاوذ، وهم قبيلة من القبائل العاربة، انظر القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي
نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبنانين، بيروتن، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م، ص: ٣٢٤.

[٣١] بنو جديس بن إرم، وهم قبيلة من قبائل العرب العاربة البائدة، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: ٢٠٤.

[٣٢] لعلهم بنو أنيف بن جشم، من أبناء بلي بن عمرو، انظر: ابن حزم، أحمد بن علي، جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م/ ص٤٤٢.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

من بقية العماليق [٣٣] الذين غلبوا على المدينة كانوا قدا ابتنوا الآطام في المدينة قبل اليهود [٣٤].

وقد اشتهر قصر السموأل بن عادياء [٣٥] بتيماء الذي يقال له الأبلق، وقد ذكره الأعشى في شعر يمدحه به،

وكانت نجران أيضا ذات آطام كما أشار إلى ذلك أوس بن مغراء السعدي في قوله:

بَثَّ الجنود لهم في الأرض يقتلـهم .... ما بين بصرى إلى آطـــام نجرانا

وكان باليمن حصن مشهور يعرف بأطم الأضبط، وهو كما قالوا الأضبط بن قريع، كان قد أغار على أهل صنعاء ثم بنى بها أطمًا [٣٦].

وورد في قصة عبد المطلب واسمه شيبة الحمد ما يفيد بوجود آطام في عهده، وذلك أن هاشم بن عبد مناف خرج إلى الشام في تجارة فمرَّ بالمدينة وتزوج بسلمى بنت عمرو النجارية فحملت بشيبة ورحل هاشم فمات بأرض الشام وولدته سلمى وترعرع الغلام وصار وصيفاً فقدم ثابت بن المنذر أبو حسان بن ثابت الشاعر مكة فقال للمطلب بن عبد مناف لو رأيت ابن أخيك لرأيت جمالاً وشرفاً ورأيته بنى آطام بنى قينقاع يناضل فتياناً من أخواله فيدخل في مرماتية جميعا في مثل راحتي هذه والمرماة السهام وكانوا إذ ذاك يرمون بسهمين فخرج المطلب حتى قدم المدينة ومكث يرقب شيبة فلما أبصره عرفه بالشيبة ففاضت عينه ثم دعاه فكساه حلة وردّه إلى أمه [٣٧].

نسبة الآطام:

تشير المصادر إلى عدّة آطام ورد التصريح بنسبتها إما إلى ملّاكها، أو ذكرت دون نسبة إلى أحد، وبعضها نسبت إلى من ابتناها.

فمن الآطام المنسوبة –على سبيل المثال- القوافل، وهو أطم لبني سالم بن عوف الخزرجي، وكان في طرف بيوتاتهم مما يلي ناحية العصبة، بناه سالم وغنم ابنا

---

[٣٣] بنو عمليق بن لاوذ، قبيلة من العرب العاربة، انظر: القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: ٣٧٧.

[٣٤] عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ص١٨.

[٣٥] السموأل بن عادياء الأزدي: كان شاعرا جاهليا حكيما، من سكان خيبر، شمالي المدينة، كان يتنقل بين خيبر وبين حصن له يسمى بالأبلق، وتنسب إليه قصة وفاء، توفي نحو ٦٥ ق هـ ٥٦٠ م. انظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط١٥، دار العلم للملايين، مايو١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢ مج٣، ١٤٠.

[٣٦] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج١٠، ص ١٢٣.

[٣٧] المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت، ج٤، ص ١١٢.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

عوف، وسموه القواقل، لكونهم كانوا إذا آواوا إليه أحدا يقولون له قوقل حيث شئت، ومعناه اذهب حيث شئت لا بأس عليك [٣٨].

وأحيانا ينسب الأطم لقبيلة معينة، كما هي في أطم بَرَجٌ: وهو من آطام المدينة كانت لبني القمّعة وهم من بني النضير [٣٩].

وكذلك كان لبني قريظة في دارهم آطام: ومن ذلك أطم الزبير بن باطا القرظي، وأطم كعب بن أسد الذي يقال له بلحان، وكان من أشهر الآطام المنسوبة أطم ضَحْيَانُ: وهو أطم ابتناه أحيحة بن الجلّاح [٤٠].

وقد يذكر أطم دون نسبة إلى أحد، ومن أمثلتها، أطم القُبابَة، قيل فيه: أُطمٌ من آطام المدينة، وكذلك كَلْب: أطمٌ من آطام المدينة [٤١].

أشهر الآطام في المدينة المنورة:

تعددت الآراء حول عدد آطام المدينة، فمنها آطام قديمة سبقت اعتناء اليهود ببناء آطام فيها، وقد اشتهرت اليهود ا ببناء الآطام، فبنوا آطاما كثيرة في المدينة، وهناك آطام أخرى بناها الأوس والخزرج، فأما اليهود فقد بنو ما يربوا تسعة وخمسين أطماً قبل هجرة النبي ﷺ، وبلغ مجموعها اثنين وسبعين أطما، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة منع من هدم الآطام الموجودة، وقال: (إنها زينة المدينة) [٤٢] ثم أمر ببناء آطام جديدة [٤٣]، وأما الأنصار والمهاجرون فتنفيذا لأمر النبي صلى الله

---

[٣٨] الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج٣، ٣٧.

[٣٩] ياقوت، معجم البلدان ج١، ص٣٧٤.

[٤٠] أخبار المدينة ص: ١٦٩؛ انظر: ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص٤٥٤.

[٤١] الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج٣، ص ٤؛ انظر: المصدر نفسه: ج٣، ص ٤٠.

[٤٢] ولفظ الحديث: لا تهدموا الآطام؛ فإنها زينة المدينة" أخرجه الطحاوي في "شرح المعاني" ٢/ ٣١٢ و٤/ ١٩٤ ، وابن عدي في "الكامل" ق ٢١٣/ ٢ وهو منكر، الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط١، دار المعارف الرياض، ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م، ج١٠، ص٤٥٨.

[٤٣] تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ص: ٢١.

(٣) هذا الأمر النبوي فهمه العلماء من الحديث الذي ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: من كان له بالمدينة أصل فليتمسك به ومن لم يكن له بها أصل فليجعل له بها أصلاً، فليأتين على الناس زمان يكون الذي ليس له بها أصل كالخارج منها المجتاز إلى غيرها، رواه الطبراني في الكبير ورجاله ذكرهم ابن أبي حاتم ولم يذكر فيهم جرحاً. وهذا الحديث يدل على تشجيعه ﷺ على التملك في المدينة للسكنى سواء كان التملك داراً أو مزرعة أو متجراً أو غير ذلك مما يربط الشخص بالإقامة فيها. انظر: الخياري، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ص: ٢١.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

عليه وسلم بنوا ستة وخمسين بأطماً جديدة، فبلغ بذلك مجموع الآطام في عهد النبي ﷺ مائة وثمانية وعشرين أطماً [٤٤].

وتفاصيلها كالآتي:

١ - ابتنى اليهود بالمدينة قبل الإسلام (٥٩) تسعة وخمسين أطما في أماكن سكناهم في ضواحي المدينة.

٢ - ابتنى العرب بالمدينة قبل الإسلام (١٣) ثلاثة عشر أطما.

٣- ابتنى الأنصار والمهاجرون بالمدينة في الإسلام (٥٦) ستة وخمسين وذلك بأمر من الرسول الأعظم – ﷺ وبهذا يكون عدد الآطام بالمدينة المنورة (١٢٨) مائة وثمانية وعشرين أطما [٤٥].

ولم يحدِّد بعض المؤرخين عدد هذه الآطام وإنما اكتفى بالقول بأن قبائل اليهود كانت تنيف على العشرين، وأن عدد آطام من نزل من العرب معهم تنيف على السبعين [٤٦].

ويبدو أن بعض القبائل كانت تتنافس في بناء الآطام، حيث وجد لبعض القبائل عدة آطام، وروى ابن زبالة أنه وجد في دار بني معاوية بن مالك تسعة عشر أطماً، وذكر أنه أحصى ثلاث عشر أطماً لبني أمية بن عامر بن بياضة [٤٧].

وأما أشهر تلك الآطام فهي كما يلي:

١-أطم واقم والضحيان:

يعتبر هذان الأطمان من أشهر آطام المدينة ويرجع تاريخهما إلى ما قبل الإسلام، وواقم أطم كان لرجل يقال له حضير الكتائب؛ وأما الضحيان فإنه لأحيحة بن الجلاح [٤٨].

٢-أطم فارع:

---

[٤٤] الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ص: ٢١.

[٤٥] ابن النجار، محمد بن محمود، الدر الثمينة في أخبار المدينة، ت: صلاح الدين بن عباس، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م ص٨٠-٨٢؛ انظر: الخياري، أحمد ياسين، الحسيني، المدينة المنورة واليهود، ط١، مؤسسة المدينة للصحابة دار العلم جدة، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م، ص١٢٢.

[٤٦] العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، ت: حمد الجاسم، ط٥، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، د.ت ص: ٣٨.

[٤٧] ابن زبالة، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، ت: صلاح عبد العزيز، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م، ص: ١٧٨.

[٤٨] محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ت: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م، ص: ٢٧٨.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

هذا الأطم من أشهر آطام المدينة وينسب لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو الأطم الذي جعل فيه النبي ﷺ عمته صفية أيام الخندق[٤٩].

٣-أطم سعد بن عبادة:

من آطام المدينة التي كانت مشهورة أطم سعد بن عبادة رضي الله عنه، وكان ينادى على هذا الأطم كل يوم من أراد لحما وشحما فليأت سعد بن عبادة، وكان سعد يبعث كل يوم بجفنة إلى رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، وكان ابنه يفعل ذلك بعده [٥٠].

٤-آطام النواعم:

كانت لبني النواعم وهم من بني النضر عدة آطام في المدينة ومن أشهرها أطم البويلة [٥١].

٥-آطام بني زيد اللات:

كان لني زيد بن اللات وهم قوم عبد الله بن سلاَّم رضي الله عنه أطمان مشهوران في المدينة [٥٢].

٦-آطام بني مزاية:

كان لبني مزاية أطم الشبعان، ولهم أطم براتج سميت به ناحيته، وأطما الشيخان [٥٣].

٧-آطام بني زيد بن مالك بن عوف

كانت لبني زيد بن مالك أربعة عشر أطما يقال لها الصياصي، وتقع شرقي مسجد قباء، ومن بين آطامهم أطم يقال له المستظل عند بئر غرس، وأطم يقال له الهجيم عند المسجد الذي صلى فيه النبي ﷺ عند العصبة [٥٤]

٨-أطم بني السميعة:

كان لبني لوذان بن عمرو بن عوف، أطم يسمى السعدان [٥٥]

٩-أطم بني عطية بن زيد:

كان لبني عطية بن زيد أطم مشهور يسمى بالشاش" وكان يقع في ساحة مسجد قباء[٥٦].

([٤٩]) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ١٤٧.

([٥٠]) الذهبي، تاريخ الإسلام ج٣، ص ١٤٧.

([٥١]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ت: محمد الأمني الجكني، (د.م) (د.ت). ج١، ٥٢٥.

([٥٢]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ص٥٢٧.

([٥٣]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٢٨.

([٥٤]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٥٤.

([٥٥]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ص ٥٥٥.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٩-أطم بني جشم وزيد ابنا الحارث:

كان ببني جشم آطام معروفة ومنها السنح وهو اسم أطم سميت به الناحية، ومكانها في أول العالية، كما كان من أشهر أطم بني خدرة الأجرد وهو الأطم الذي يقال لبئره "البصة" [٥٧].

١٠-أطم بني سالم وغنم ابنا عوف:

كان لبني سالم وغنم ابني عوف بن عمرو بن الخزرج أطم القواقل ومكانها في الحرة الغربية، قريب من مسجد الجمعة وتسمى أطم القواقل وكانت بمنطقتهم أطم يقال له مزاحم[٥٨].

١١- أطم بني غنم بن مالك وبني عدي بن عمر:

كانت لبني مالك بن النجار آطام معروفة في مناطقهم في المدينة، ومن أشهرها أطم فويرع وفارع [٥٩].

١٢-أطم بني مبذول وبني عدي بن النجار:

كانت لبني مبذول وهو عامر بن مالك بن النجار، آطام عديدة، ومن أشهرها أطم "السلج" وأطم "الزاهرية" ومحلها غربي المسجد النبوي [٦٠].

١٣- أطم بنو ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة:

كانت بنوثعلبة بن الخزرج يسكنون قريبا من سوق المدينة، ولهم أطم بدار أبي دجانة، وأطم آخر مواجه لمسجد بني ساعدة وهو آخر أطم بني بالمدينة المنورة [٦١].

استخدامات الآطام المتنوعة:

استخدمت هذه الآطام لعدة أغراض، فقد كانت مهمة في حياتهم اليومية، حيث استُعملت كملاجئ عامة يلجؤون إليها عندما يهاجمهم العدو، فينضوي إليها الأطفال والنساء والعجزة، ويخرج الرجال لمقاتلة الأعداء.

ولعل مهمة التحصين والدفاع كانت أبرز مهام تلك الآطام، ويروى أن أحيحة بن الجلاح تحصن بأطمه الضحيان، حينما قاتله تبع أبو كرب الحميري، وقيل بل تحصَّن في أطمه المستظلّ.

([٥٦]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ص٥٥٧.

([٥٧]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٥٨.

([٥٨]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٥٩.

([٥٩]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٦٨.

([٦٠]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٧٠.

([٦١]) السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١، ٥٦٥.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ولكن لم تكن الآطام تؤدي مهمة التحصين فقط، بل كانت تعتبر مخازنَ يجمعون فيها الغلالَ والثمار، وكنز الأموال والسلاح، كما كانت تقام الأسواق بالقرب منها، وكان ينزل بقربها القوافل المثقلة بالبضائع، وزعم ولفنسون أن هذه الآطام التابعة لليهود كانت تضم معابد وبيوت المدارس، حيث كانت فاخرة الأثاث حيث يجتمع فيها الزعماء للمشاورة والبحث في شؤنهم إذا أرادوا إبرام العقود والاتفاقات [٦٢].

ولعلها استخدمت أيضا كأداة للاستطلاع وتبليغ الصوت إلى أقصى غاية، فقد وردت في قصة الأذان لما ذكر شأن الصلاة فقال بعضهم: نستعمل الناقوس، فاعترض بعضهم وقالوا إن ذلك فعل اليهود، ثم قال: لو أمرنا رجالاً يقومون على آطام المدينة فينادون إذا حضر وقت الصلاة فيؤذنون الناس بالصلاة، ثم بات النبي ﷺ وهو مهتمٌ لذلك.... [٦٣].

ويروى أن حسان بن ثابت صعد فوق أطم من آطام المدينة ثم نادى بأعلى صوته وقال: يا صباحاه، فاجتمعت الخزرج إليه وقالوا ما عندك؟ فقال: بيت شعر قلته أردت أن تسمعوه فقالوا له هات يا حسان فأنشد [٦٤]:

وإنّ امـرءا أمسى وأصبـح سالماً ... مـــن الـــنـاس إلا ما جنى لسعيد [٦٥].

وورد في قصة الهجرة أن المسلمين لما سمعوا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة كانوا يخرجون كل غداة إلى الحرة ينتظرون مقدمه حتى يردّهم حرّ الشمس، حتى أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لحاجة له فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه وهم مبيضون يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته

---

[٦٢] سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ج١، ٣٧٨؛ انظر: الشريف، أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ﷺ ص: ٢٦٥؛ انظر: محمد السيد الوكيل، بثرب قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦ه/١٩٩٦م؛ انظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م، ج٣، ص ٣٥٦.

[٦٣] ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، لآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، ت: باسم فيصل أحمد، ط١، دار الراية الرياض، ١٤١١ه/ ١٩٩١م، ج٣، ص ٤٧٦.

[٦٤] لم أجد البيت في ديوانه، ولكن ورد منسوبا إليه في كثير من المصادر، وبعضها قال له أو لابنه عبد الرحمن، انظر : ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م، ج١، ٢٩٨.

[٦٥] الإبشيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، ت: مفيد محمد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م، ص: ٩٨.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يا معاشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف [٦٦].

وقد استخدم النبي ﷺ الآطام في عهده حيث إنه كان إذا خرج للغزو خلَّف النساء والذراري والشيوخ فيها.

فقد ورد أنه ﷺ لما خرج إلى أحد خلَّف ثابت بن وقش وحسيل بن جابر في الآطام وكانا شيخين كبيرين، ثم إن أحدهما قال لصاحبه أفلا نخرج ونلحق برسول الله ﷺ، ، فأخذا أسيافهما ولحقا برسول الله ﷺ حتى دخلا في الناس وقاتلا، أما ثابت فقتله المشركون، وأما حسل فظنه المسلمون رجلا من المشركين فاختلفت عليه أسيافهم فقتلوه [٦٧].

وكذلك جعل النبي ﷺ النساء والأطفال في آطام المدينة لما خرج إلى غزوة الخندق، فإن المشركين لما أتوا إلى المدينة نزلت طائفة منهم شرقي المدينة جانب أحد، ونزلت طائفة أخرى في أعالي أرض المدينة، مثل ما قال الله تعالى في كتابه: وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا [٦٨] خرج النبي ﷺ وأصحابه وهم ثلاثة آلاف، حتى أسندوا ظهورهم إلى سلع، وجعلوا وجوههم قِبَل العدوّ، وجعل رسول الله ﷺ النساء والذراري في الآطام [٦٩].

وقد استعمل النبي ﷺ بنفسه الآطام وذلك حين أشرف على أطم من آطام المدينة، وقال: "هل ترون ما أرى ؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر" [٧٠].

وعموماً، فإن هذه الآطام كانت لها عدة استخدامات، وكانت معلماً معمارياً للمدينة المنورة قبل الإسلام وبعده، وهي من جملة آثارها التاريخية التي تعتبر مفخرة

---

[٦٦] صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، رقم الحديث: ٣٦٩٤ ج٣، ١٤٢١.

[٦٧] ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م ج١، ص٤٥٨؛ انظر: ابن النجار، الدرة الثمينة في أخبار المدينة ص: ٢١٣.

[٦٨] سورة الأحزاب، الآية/ ١٠.

[٦٩] الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ه/ ١٩٩٣م، ج٤، ص ٣٧١؛ انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: ساي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م، ج٦، ص ٣٨٤.

[٧٠] رواه البخاري في صحيحه، من حديث أسامة بن زيد، انظر: صحيح البخاري، أبواب فضائل الصحابة، باب آطام المدينة، رقم الحديث ١٧٧٩ج٢، ص ٨٧١.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

من مفاخرهم وبها كانوا يتفاخرون، ولذلك نجد حسان بن ثابت رضي الله عنه مفتخرا بقومه ذوي النعم الذين شيدوا الحصون في يثرب فيقول [٧١]:

أُولَئِكَ قَوْمي فإنْ تَسْأَلِي...كِـرَامٌ إذا الضَّيْفُ يَوْماَ أَلَمْ

بِيَثْرِبَ قَدْ شَيَّدُوا في النَّخيلِ ... حُصُوناً وَدَجَّنَ فيها النَّعَمْ [٧٢].

المبحث الثاني: علاقة الشعر بالتاريخ في تسجيل الوقائع

ما من شك في أن هناك علاقة وطيدة بين الشعر العربي وبين التاريخ الإسلامي، من حيث إن كلاً منهما يعتبر وثيقة هامة من وثائق التاريخ وسجلاته التي حفظ بهما معا، ويظهر هذا واضحاً في عدة موضوعات تاريخية، ويخصص البحث الحديث عن بعض تلك الجوانب حتى تصح هذه الدعوى، ويتضح ذلك من خلال إلقاء الضوء على بعض العناصر التالية:

علاقة الشعر بالسيرة النبوية:

يعتبر الشعر وثيقة تاريخية مهمة فهو ديوان العرب وسجلُّهم النفيس الذي به حُفظ تاريخُهم وآدابُهم وأخلاقُهم، وهو الوثيقة التي حفظوا فيها أخبار أبطالهم ووقائع بطولاتهم، وكان هو دنيا العرب الثقافية، ومما يدل على أهميته في هذا الميدان أن النبي ﷺ بعث في أمة ازدهرت فيهم صناعة الشعر، فطرقوا كل موضوعاته من مديح وهجاء، ورثاء وفخر وحماسة وغيرها، ولو لا الشعر لما عرفت الجغرافية العربية ومواقع الصحراء وواحاتها ومرابعها وجبالها ووديانها، لأن كل ذلك مدوَّن في أشعارهم، ولو لا الشعر لما اشتهرت القبائل العربية وأخبارها في محافلهم وتحاربهم وسلمهم، ولأهمية الشعر نجد الإمام البخاري في صحيحه يستشهد به كثيراً بل وعقد باباً خاصاً سماه ب" باب ما يجوز من الشعر والرجز والحُداء وما يكره منه" وذكر قوله تعالى" والشعراء يتبعهم الغاوون" ، ثم ساق بسنده إلى أبي بن كعب أن النبي ﷺ قال: إن من الشعر لحكمة" [٧٣] ولذلك نجد أن دراسة الشعر العربي الذي قيل في عصر الدعوة الإسلامية له أهمية كبيرة سواء في ذلك شعر الكفار في المسلمين، أو

---

[٧١] انظر: ديوان حسان بن ثابت، ت: عبد الله سنده، ط١، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م، ص ٢٣٩.

[٧٢] عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، تاريخ النشر ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٧م، ص: ٩.

[٧٣] البخاري محمد بن إسماعيل، ، الجامع الصحيح المختصر، ت:مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت ١٩٨٧/١٤٠٧م باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء. رقم الحديث، ٥٧٩٣ ج٥، ٢٢٧٦.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

شعر المسلمين فيهم ومنافحتهم للإسلام، بل إن دراسة الشعر عموما سواء في العصر الجاهلي أو الأموي له أهمية كبيرة في دراسة السيرة النبوية [٧٤].

وقد تنبه علماء السيرة والتاريخ إلى أهمية الشعر فأكثروا من الاستشهاد به، وكان محمد بن إسحاق من أوائل من تنبَّه لأهمية الشعر ومكانته في مرويات السيرة النبوية فكان يورد عقب كل موقعة ما ورد وما قيل فيها من شعر، نجد ذلك في غزوة بدر وأحد والخندق، إضافة إلى إيراده شعر الوفود والقبائل التي وفدت على رسول الله ﷺ معلنة إسلامها، وجاء ابن هشام بعده فهذَّب السيرة وحذف كثيراً من الأشعار المشكوك في نسبتها، إلا أنه مع ذلك أثبت كثيرا من تلكم الأشعار [٧٥].

وهذا النوع الذي حذفه ابن هشام من أشعار السيرة المشكوك في نسبتها هو الذي قصد ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء انتقاد ابن إسحاق عليه حين اعتبر أن ابن إسحاق هو من أفسد الشعر وهجَّنه وحمل منه كل غُثاء، حيث كتب في الشعر أشعاراً كثيرة لرجال ونساء لم يقولوا شعراً قط، ثم جاوز ذلك حتى أورد أشعاراً في عهد عاد وثمود، ونقل عنهم كلاماً مؤلَّفاً معقوداً بقواف ليس بشعر على أنه شعر [٧٦].

علاقة الشعر بأيام العرب:

يقصد بأيام العرب الحروب والوقائع والنزاعات التي نشبت بين القبائل العربية في مجتمعهم الجاهلي الذي كانت النزاعات فيه محتدمة، وتعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدرًا هامّاً من مصادر التاريخ، لما روي فيها من أشعار كثيرة، ولما اشتملت من وقائع وأحداث، من مأثور الحكم وبارع الحيل، ومصطفى القول، ورائع الكلام، فهي توضح شيئًا من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم، وتروي كثيرًا مما كان يقع بين العرب أنفسهم من خلاف، بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر.

---

[٧٤] هاني السباعي، قراءة في مصادر السيرة النبوية، دار هادف للنشر والتوزيع، د.ت د.م ص ٢٠٥-٢٠٦؛ انظر: فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط٣، دار القلم دمشق، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م ص ١٤١-١٤٢؛ انظر: الكبيسي عبد الحافظ عبد محمد، أسس مصادر كتابة السيرة النبوية، مجلة مداد الآداب، العدد الثالث، الجامعة العراقية كلية الآداب، ص ٥١٢.

[٧٥] هاني السباعي، قراءة في مصادر السيرة النبوية، ص ٢١٢-٢١٣.

[٧٦] محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر، دار المدني، جدة، د.ت، ج١، ص٧.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

ولو نظرت إلى الشعر الجاهلي في جملته وتفصيله، وبخاصة ما كان في الفخر والحماسة، والرثاء والهجاء، فإنك تجده قد ارتبط بتلك الأيام، فبينما كان الفوارس يناضلون بسيوفهم ورماحهم، ويجودون بنفوسهم رخيصة في سبيل أقوامهم، كان الشعراء من ورائهم يدفعون عن الأحساب بقصيدهم، ويطلقون ألسنتهم في خصومهم وأعدائهم، ويندبون بقوافيهم صرعاهم، والقتلى من أشرافهم وزعمائهم ومن ثم فقد أصبحت كتب الأدب من المصادر المهمة في التاريخ العربي القديم، ففيها ثروة أدبية قيمة، قد لا نجد لها مثيلا في كتب التاريخ، بل نستطيع أن نذهب بعيدًا، فنقول إن كثيرًا من الأخبار ماتت لموت الشعر الذي قيل في مناسبتها، في حين أن أخبارًا خلقت خلقًا لأن ما قيل فيها من شعر كان سببًا في بقائها، ومن ثم فقد أصبح الشعر سببًا في تخليد الأخبار، لسهولة حفظه، ولاضطرار رواته إلى قص المناسبة التي قيل فيها [٧٧].

علاقة الشعر بالقبائل والأنساب:

كان الشعر يحتل مكانة مرموقة عند العرب، وهو ديوان أمجادهم وسجلُّ مفاخرهم وأحسابهم، وكانوا يتفاخرون به، وكانت القبيلة الواحدة تفتخر بنبوغ شاعر من شعراءها، ولذلك كانت تعتني بشعر أبنائها، ويقيدون شعر شعرائها الذين يدافعون عن حياضها، ويسجلون به وقائعها وأيامها، وهذا كله نابع من معرفتهم بالكتابة في الجاهلية، فقيدوا بعض قصائدهم، وليس المراد من هذا، التقييد العام، بل كتابة بعض الأبيات في أوراق وحفظها، ولا يعنى أنهم اتخذوا الكتابة وسيلة يدونون بها كل أشعارهم، لأن وسائل الكتابة في ذلك العصر كانت صعبة، حيث كانوا يكتبون على الجلود والعظام ونحوها[٧٨].

وكان الشعر يرتبط بعلم التاريخ ارتباطاً وثيقاً، ولذلك نجد كثيراً من علماء الشعر لهم إلمام بفروع علم التاريخ، فنجد المفضل الضبي العالم بالشعر وتفسيره وتقييمه له

---

[٧٧] لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، ط٢، للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية د.ت. ص: ٢٣٨انظر: محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية د.ت، ص: ٤١.

[٧٨] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٧، دار الجيل بيروت، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م، ص١١٠؛ انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار ذوي القربي، قمّ، ط٢، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م، ص ١٤٠.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

مشاركة في معارف أخرى، فكتابه الأمثال يدل دلالة واضحة على إلمامه بالأيام والأساطير الجاهلية والحكايات [٧٩].

وكان بعض النسابين لهم صلة قوية بالشعر العربي، لأن معرفتهم بالنسب كانت تقتضي منهم معرفة واسعة بأخبار القوم وأشعارهم، ولذلك نجد كتب الأنساب يذكر مؤلفوها أخبارا تاريخية وأدبية وأشعاراً يسوقونها مع هذه الأخبار، ولذلك نجد ذكر علماء النسب مقرونا بمعرفتهم بالشعر وروايته، وأيام العرب وأخبارهم [٨٠].

علاقة الشعر بالتاريخ من ناحية أخرى

وهناك نوع أخر من الشعر يسمى بالتاريخ الشعري، وكانوا يسمونه أيضا التاريخ الحرفي؛ لكونه يرجع إلى حساب الأحرف الأبجدية، وهذا النوع لا يعرف بالتحديد أول من استعمله في الشعر، وذكر بعضهم أنه كان مستعملًا عند شعراء الجاهلية الأولى، وهو وهم، ومن أول ما وقف عليه قول بعض الشعراء يؤرخ لسنة ٨٢٢هـ:

تاريخه خير بدا ... مع كمال العفة

يريد بقوله (كمال العفة) حرف التاء التي تعتبر هاء في حساب الجمل [٨١]، ويسمى هذا النوع بالمذيل، بأن تكون جمله ناقصة فيكمل بحرف أو أكثر منه مع التنبيه على ذلك، وهو شبيه ببعض أنواع المعمى[٨٢] [٨٣].

المبحث الثالث: آطام المدينة من خلال النصوص الشعرية

لما كان الشعر ديواناً للعرب به يحفظون مآثرهم ويخلدون مفاخرهم، كان للمعالم التاريخية أثرٌ بارزٌ في قصائدهم، حيث ورد ذكر كثير من تلك المعالم، بما فيها الآطام في أشعارهم، فقد كانت الآطام تعتبر عزَّ أهل المدينة قبل الإسلام وبعده فكانوا

---

[٧٩] انظر مقدمة كتاب" أمثال العرب" للمفضل الضبي، ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١ه/ ١٩٨١م، ت إحسان عباس، ص: ٢٩.

[٨٠] ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ص ٢١٥-٢١٦.

[٨١] حساب الجمل هي الحروف المقطعة من أبي جاد. انظر: الزبيدي، تاج العروس، ج١٤، ١٢٢...

[٨٢] الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ت: درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيرت، ، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م، ج٣، ص٣٤١.

[٨٣] يقال: عمى معنى البيت تعمية: إذا أخفاه، ومن هذا المعنى المعمى من الأشعار؛ كما في الصحاح، وقيل: إن التعمية هي: أن تعمي شيئا على إنسان فتلبسه عليه تلبيسا. انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج١٩، ٧٠٤.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يتحصنون بها من كل عدوٍ يقصدهم سواء في لك العدوُّ الداخلي أو الخارجي، وهذه الآطام منها ما كنت تعرف أسماءها ومنها مالا تعرف أسماءها، إلا باسم سيدها ومنها ما يعلم اسمُ مالكها، ومنها مالا يعلم عنها ذلك، ذلك ومنها آطام تذكر في الشعر ومنها مالا يذكر فيه [٨٤].

اشتهار المدينة بالآطام:

كانت المدينة المنورة تشتهر بالآطام، مما جعل الشعراء يذكرون ذلك في أشعارهم ويصفونها بها، فقد ورد في قصة جبيهاء الأشجعي الذي طلبت منه زوجته أنيسة أن يهاجر بها إلى المدينة ويبيع إبلَه، فلما أقبل بإبلها حتى وصل إلى حرَّة واقم شرقي المدينة حنّت ناقة إلى وطنها، فتبعتها الإبل وشردت عنه فطلبها ففاتته، فعاتبته، وقال لها: هذه إبل لا تعقل وقد حنّت إلى وطنها فنحن أولى بها، فأنت طالق إن لم ترجعي، وقال فيها شعراً: ومنه:

قـالـت أُنيسةُ: بِعْ تِلادَكَ والتمسْ ... داراً بـيـثربَ ربَّةِ الآطامِ

تَـكْتُب عِـيـالَكَ في العَطاءِ وتَفْتَرِض ... وكـذلك يَفْعَلُ حـازِمُ الأَقْوامِ[٨٥].

فنجد الشاعر أنه يصف المدينة بأنها ربة الآطام، وهذا يدل على شهرة الآطام بها وكثرتها، وهذه الكثرة التي جعلت الشاعر يصفها بربة الآطام كانت من خصائصها في الجاهلية بحيث لم يشاركها فيها بلدٌ آخر، وهي ميزة لها تنفرد عن المدن [٨٦] .

وهذا المعنى هو الذي عبّر به الشاعر أبو ذئيب [٨٧] الهذلي في رثاء النبي صلى الله عليه وسلم

لما رأيت الناس فى غسلاتهم .... مـا بين مـلحود له ومضرَّح

متبادلين لشرجـع بأكفهم .... نـص الرقاب لفـقد أبيض أروح

فـهناك صرت إلى الهموم ومن بيت .... جـار الهـموم يبيت غير مروح

كسفت لمصرعه النـجوم وبدرها .... وتـزعـزعت آطام بطن الأبطح [٨٨].

---

[٨٤] العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار؛ انظر: الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا ص: ٢١.

[٨٥] الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، د.م د.ت. ج٣، ١٨.

[٨٦] عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها ص: ٩.

[٨٧] انظر: ديوان أبي ذؤيب، ت: أحمد خليل الشال، ط١، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد مصر، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م، ص ٢٤.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

يقصد بهذا الأبيات التعبير عن الحزن العميق الذي أصابت المسلمين إثر وفاة الرسول ﷺ حتى انكسف النجوم بهذا الخبر الحزين ، وتهدَّمت الآطام، وهذا تعبير يقصد منه بيان أثر الحزن الذي سيطر على الوجوه من هذا الخبر الصاعق.

ومن هذا المعنى أيضا قول زيد الخيل [٨٩] الطائي:

أنيـــخت، بآطام المدينة، أربعا .... وعشـــرا، يغنّي فوقها الليل طائر

فلما قـــضى أصحابنا كلّ حـــاجة .... وخطّ كتابا في المـــدينة ساطر

شـــددت عليها رحـــلـــها وشليلها .... من الدرس والشّعراء، والبـــطن ضامر [٩٠].

ولعل لشهرة هذه الآطام بالمدينة واختصاصها بها قال بعض العلماء إن الآطام إذا أطلقت فهي آطام المدينة كما قالوا في قول أوس بن مغراء السعدي:

بثَّ الجـنودَ لهم في الأرض يقتلهم .... مـــا بين بُصرى إلى آطام نجرانا [٩١].

وصف الشعراء حصانة الآطام :

وكانت الآطام عزّا لأهل المدينة ومنعتهم وفيها كانوا يتحصنون من عدوهم، وقد أكثر الشعراء من وصف تلك الآطام بما يدل على طولها وحصانتها، مما يؤكد كونهم كانوا يفتخرون بها، ومن ذلك تلك الآطام التي بناها بنو أنيف بقباء: حيث يقول شاعرهم [٩٢] فيها:

ولـو نطـقت يـوما قُبـاءُ لخبَّرتْ .... بـــأنّا نـــزلنا قـبل عـــادٍ وتبّعِ

وآطامنا عاديّةٌ مشمـــخرّةٌ .... تـــلوحُ فتُنْكي مـن نعادي وتمنع [٩٣]

---

[٨٨] الكلاعي، سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م، ج٢، ص ٦٤.

[٨٩] انظر: ديوان زيد الخيل، ت: أحمد مختار البرزة، ط١، دار المأمون للتراث، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م، ص ١٠٦.

[٩٠] ياقوت، معجم البلدان ج١، ٢١٩.

[٩١] ابن منظور، لسان العرب ج١٢، ١٩.

[٩٢] البيت بلا نسبة في المصادر التي ورد فيها.

[٩٣] السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م، ج١، ص ١٣٠.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

فالشاعر في هذين البيتين يصف آطامهم التي بنوها بالطول، وأنها حصينة تمنع من وصول أعدائهم إليها، كما أنها مُنكية، وكأنه بذلك يشير إلى حصانتها الخارجية مما يجعل العدو يقف حيالها حيارى لا طاقة لهم بالهجوم عليها.

ومن هذا النوع وصف الشاعر لأطم «معرض» الذي يعتبر آخر أطم بالمدينة، حيث قدم رسول الله صلى الله ﷺ المدينة وهم في طور بنائه فاستأذنوه في إتمامه، فوافق ﷺ وأذن لهم وفيه يقول الشاعر أبو أسيد الساعدي:

ونحن حمينا عن بضاعة كلّها .... ونحن بنينا مُعْرضاً فهو مُشرفُ

فأصبح معموراً طويلاً فدى له .... وتخرب آطامٌ بها وتصفصف [٩٤]

فالشاعر يصف أطم معرض الذي ابتاه أهله بنو ساعدة بن كعب حول بئر بضاعة، بالطول مع طول التعمير، حيث إن الآطام الأخرى تنهدم ويبقى هو شامخاً معموراً طويلاً، وهذا ربما يرجع إلى مادة البناء التي بني بها هذا الأطم.

ومن تلك الآطام التي وصفها الشعراء بالحصانة أيضا أطم المزدلف الذي بناه سالم وغنم ابنا عوف وكان لمالك بن عجلان، وفيه يقول:

إني بنيت للحروب المزدلف .... قذفت فيه جندلا مثل الردف [٩٥]

فيؤكد الشاعر بهذا البيت أنه ابتنى هذا الأطم للحروب، فهي أصل بنائها، وأنها قذف فيها الجندل وهو الحجارة، التي يقلُّها الرجل وقال بعض أهل اللغة: هو الحجر كلُّه كما قال امرؤ القيس:

وتيماء لم يترك بها جذعَ نخلة .... ولا أجَما إلا مشيدا بجندل

وقيل صخرة كرأس الإنسان [٩٦].

وقد أشار بعض الشعراء إلى معنى آخر من معاني بناء الآطام، وهو بسط السيطرة والقهر، وقد عبّر الشاعر الأضبط بن قريع باني الأطم المنسوب إليه عن هذا المعنى حين قال:

وبنيت أطما في ديارهم .... لأثبت التقهير بالغصب [٩٧].

---

[٩٤] الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج٣، ص٧٨؛ انظر: السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١، ص ١٥٩.

[٩٥] الفيروز آبادي، المغانم المطابة في معالم طابة ج٣، ص٧١.

[٩٦] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج١٤، ص ١٢٥.

[٩٧] الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس ج١٦، ٢٣.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وبنى أحيحة بن الجلاح أطماً بالعصبة يقال له «الضحيان، وكان عرضه قريباً من طوله، وقد بناه أولا من حجارة الحرار البيض أولا فسقط، وقد وصفه بعد ذلك بالحصانة والمتانة وشبهه بالسيف الصقيل فقال [٩٨]:

وقد أعدَدْت للحِدْثان حصْناً .... لـو انّ المـــرء تـنفعه العقولُ

طـويلَ الـــرأس أبـــيض مشمخرّ.... يـــلـــوح كـأنه سيف صقيلُ [٩٩]

ويظهر من تتبع شعر أحيحة بن الجلاح أنه كان مغرماً ببناء الآطام المرتفعة الحصينة ويستعد للإنفاق الأموال الطائلة عليها حرصاً على سلامته وأهله، وهو القائل [١٠٠]:

إنّي بـنَيْتُ واقِماً والـــضَّحْيان....والمستـــظِلَّ قَبْلَهُ بَأَزْمانْ [١٠١].

كثرة ورود الآطام على لسان الشعراء:

لو تُتُبع عدد الآطام التي وردت في أشعار العرب لكانت بالعشرات، ولكن يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق، فيشير البحث إلى بعض تلك الآطام التي ورد ذكرها في أشعارهم.

من الآطام التي ورد ذكرها في أشعار الشعراء، أطم الفارع وهو أطم حسان بن ثابت رضي الله عنه قال فيه حسان نفسه [١٠٢]:

أرقـــت لتـوماض البروق اللوامع .... ونـــحن نشادي بين سلع [١٠٣] وفارع [١٠٤]

---

[٩٨] انظر: ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي، ط١، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م، ص ٧٦-٧٧.

[٩٩] السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١، ص١٥٤.

[١٠٠] لم أجد البيت في ديوان، ولكن ورد منسوبا إليه في المصادر؛ انظر: السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ج١، ص١٥٤.

[١٠١] عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها، ص: ١٠.

[١٠٢] ديوان حسان، ت: عبد الله سنده، ص ١٥٩.

[١٠٣] سلع: جبل بسوق المدينة، وقال الأزهري: موضع بقرب المدينة، وهو اليوم يقع في وسط عمران المدينة، في الجنوب الغربي منه عند المساجد السبعة. ياقوت، معجم البلدان ج٣، ص٢٣٦؛ انظر: شراب، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة ص: ١٤٢؟

[١٠٤] فارع: اسم أطم بالمدينة، ياقوت، معجم البلدان ج٤، ص ٢٢٨.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وتسمية الآطام بها الاسم فيه إشارة إلى علوّها وارتفاعها، فهو من قول العرب: فرع إذا علا، كما قال الفيروزآبادي، والفارع العالي المرتفع الحسن الهيئة، وقد ورد ذكر هذا الأطم كثيراً في أشعار الشعراء، وفي ذلك دلالة ظاهرة على مكانته العمرانية بالمدينة في ذلك الوقت.

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا الأطم فمن ذلك قول مقيس بن صبابة:

ثأرت به فهراً وحملت عقلة.... سراة بني النجار أرباب فارع

وقول كثير [١٠٥]:

رسا بـــيـــن سلع والعقيق وفارع ... إلى أحد للـمزن فيه غشامر

وهو الأطم الذي أدخل فيه النبي ﷺ عمته صفية أثناء غزوة الخندق، وتمكنت من قتل اليهودي الذي كان يحاول أن يتطلع إلى النساء في الداخل [١٠٦].

ومن أشهر الآطام التي وردت في أشعار العرب أطم واقم: وهو من آطام المدينة وإليه تُضاف الحَرَّة، واشتقاقها من قول العرب: وَقمْتُ الرَّجل عن حاجته: أي رددْتَه، قال المرَّارُ:

بِحَرَّةِ واقمٍ والعِيسُ صُعْرٌ ... ترى لِلُحَى جماجِمها تَبيعا [١٠٧].

وقال خفاف بن ندبة [١٠٨]:

لـو انّ المـــنـــايا حِدْن عن ذى مـــهابة .... لكان حُـــضير حين أغلق واقما [١٠٩].

ومنه قول محمد بن أسلم في وقعة الحرة:

فـإن تـــقـــتـــلونا يوم حرَّة واقم .... فنحـــن علـى الإسلام أول من قتل [١١٠].

---

[١٠٥] لم أجده في ديوانه المطبوع، ولكن ورد منسوبا إليه في المصادر.

[١٠٦] محمد إلياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، ط٤، د.م ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م، ص: ١٣٣.

[١٠٧] ياقوت، معجم البلدان ٢، ٢٤٩.

[١٠٨] لم أجده في ديوانه المطبوع، ولكن ورد منسوبا إليه في المصادر.

[١٠٩] البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٢م، ج٢، ص ٤٣٧.

[١١٠] الحميري، محمد بن عبد الله الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م، ص: ٣٥٦.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

وهذا جزء يسير من أشعار العرب التي ذكروا فيها تلك الآطام، وهو دالٌّ على كثرة الآطام الكاثرة التي حظيت بها يثرب واختصت بها، ودلّ على أن الشعر لم يزل ولا يزال أداة لتسجيل المفاخر والأحداث العظيمة.

الخاتمة:

خلص البحث إلى جملة من النتائج وأبرزها

أولا: تطلق كلمة الآطام ويراد بها عدة معان، ولكن المشهور منها والذي يدور عليه البحث الحصون والبيوت المربعة المسطحة.

ثانيا: خلص البحث إلى أن وجود الآطام اشتهر بالمدينة النبوية، وإن كان عهد بنائها أقدم حيث وجد في مدن أخرى غيرها.

ثالثا: توصل البحث إلى ذكر عدد لا بأس به من الاستخدامات التي كان يستخدم بها هذه الآطام في المدينة النبوية وأن اهمَّ هذه الاستخدامات هي مهمة التحصين.

رابعا: اتضح من خلال البحث أن الشعراء أكثروا من ذكر المعالم التاريخية بالمدينة النبوية في أشعارهم، وأنهم قصدوا بذلك تخليد المآثر، وإثبات المفاخر وغير ذلك.

خامسا: تمكن البحث من ربط التاريخ بالشعر من خلال عدة موضوعات نموذجية بينهما.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

فهرس المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

١. ابن فارس، أحمد بن فاس، مقاييس اللغة (د.م) دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م.
٢. الأزهري محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٢١ه/ ٢٠٠١م.
٣. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، ١٤٠٧ه/ ١٩٨٧م.
٤. الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.
٥. الخطابي، حمد بن محمد، غريب الحديث (د.ت) دار الفكر، دمشق، ١٤٠٢ه/١٩٨٢م.
٦. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، غريب الحديث لابن الجوزي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٨٥م.
٧. الإفصاح في فقه اللغة، ط٣، دار مكتب الإعلام الإسلام، قمُّ، ١٤١٠ه/ ١٩٨٩م.
٨. محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ت: محمود شاكر، دار المدني، جدة، (د.ت).
٩. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، ط٣، دار صادر، بيروت ١٤١٤ه/١٩٩٣م.
١٠. الزبيدي، محمد بن أحمد، تاج العروس من جواهر القاموس، ط١، الفكر ١٤١٤ه/١٩٩٣م.
١١. المقدسي، المطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، (د.ت).
١٢. ابن النجار، محمد بن محمود، الدر الثمينة في أخبار المدينة، ت: صلاح الدين بن عباس، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٦ه/ ٢٠٠٥م.
١٣. العباسي، أحمد بن عبد الحميد، عمدة الأخبار في مدينة المختار، ت: حمد الجاسم، ط٥، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، (د.ت).
١٤. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م.
١٥. ابن حزم، أحمد بن علي، جمهرة أنساب العرب لابن حزم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٣م
١٦. ابن أبي عاصم، أحمد بن عمرو، لآحاد والمثاني لابن أبي عاصم، ت: باسم فيصل أحمد، ط١، دار الراية الرياض، ١٤١١ه/ ١٩٩١م.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

١٧. الإبشيهي، محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستطرف، ت: مفيد محمد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦ه/ ١٩٨٦م.
١٨. الجامع الصحيح المختصر، البخاري، ت: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة بيروت، ١٤٠٧ه/١٩٨٧م،
١٩. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ت: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ه/ ١٩٩٥م.
٢٠. الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ت: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤ه/ ١٩٩٣م.
٢١. ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، ت: ساي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.
٢٢. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، المغانم المطابة في معالم طابة، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، (د.م) (د.ت).
٢٣. العبني بدر الدين محمود، شرح المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى» ت: علي محمد فاخر، وجماعة، ط١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة - جمهورية مصر العربية، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٢٤. القلقشندي، أحمد بن علي القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ت: إبراهيم الإبياري، ط٢، دار الكتاب اللبنانين، بيروتن، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م
٢٥. البكري، عبد الله بن عبد العزيز، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط٣، عالم الكتب بيروت، ١٤٠٣ه/ ١٩٨٢م.
٢٦. الحميري، محمد بن عبد الله الروض المعطار في خبر الأقطار، ت: إحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، ١٤٠٠ه/ ١٩٨٠م.
٢٧. الكلاعي، سليمان بن موسى، الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.
٢٨. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨ه/ ١٩٩٧م.
٢٩. السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.
٣٠. ابن زبالة، محمد بن الحسن، أخبار المدينة، ت: صلاح عبد العزيز، ط١، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤ه/ ٢٠٠٣م.

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

٣١. السمهودي، خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، ت: محمد الأمني الجكني، (د.م) (د.ت).
٣٢. محمد بن حبيب، المنمق في أخبار قريش، ت: خورشيد أحمد فاروق، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٥ه/ ١٩٨٥م.

ثانيا: المراجع:

١. شراب، محمد بن محمد، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط١، ١٤١١ه/ ١٩٩٠م، دار القلم دمشق بيروت.
٢. ديوان حسان بن ثابت، ت: عبد الله سنده، ط١، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٧ه/ ٢٠٠٦م.
٣. الصاعدي، سعود بن عيد، معجم المعالم الأثرية في المدينة المنورة في ضوء المصادر الأصلية والمراجع الحديثة، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، ١٤٣٨ه/ ٢٠١٦م.
٤. الخياري، أحمد ياسين أحمد، تاريخ معالم المدينة المنورة قديما وحديثا، ط١، نادي المدينة المنورة الأدبي، ١٤١٠ه/ ١٩٩٠م.
٥. سعيد حوى، الأساس في السنة وفقهها، السيرة النبوية، ط٣، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ١٤١٦ه/ ١٩٩٥م.
٦. الشريف أحمد إبراهيم، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، (د.ت).
٧. عبد الله بن عبد العزيز، مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ، ط١، ١٤٠٢ه/ ١٩٨٢م، (د.م).
٨. محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦ه/١٩٩٦م.
٩. إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، مصر، ١٣٤٥ه/ ١٩٢٧.
١٠. جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ط٤، دار الساقي، بيروت، ١٤٢٢ه/٢٠٠١م.
١١. الخياري، أحمد ياسين، الحسيني، المدينة المنورة واليهود، ط١، مؤسسة المدينة للصحابة (دار العلم) جدة، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م.
١٢. محمد السيد الوكيل، يثرب قبل الإسلام، ص: ١٨٢، ط١، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ١٤٠٦ه/١٩٩٦م.
١٣. ديوان أحيحة بن الجلاح الأوسي، ط١، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، ١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م.
١٤. عدنان أحمد، علي أحمد يونس، يثرب في شعر شعرائها، مجلة جامعة تشرين

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X

للدراسات والبحوث العلمية، تاريخ النشر ١٤٢٨ه/ ٢٠٠٧م.
١٥. هاني السباعي، قراءة في مصادر السيرة النبوية، دار هادف للنشر والتوزيع، (د.ت) (د.م).
١٦. فاروق حمادة، مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ط٣، دار القلم دمشق، ١٤٢٤ه/٢٠٠٣م.
١٧. الكبيسي عبد الحافظ عبد محمد، أسس مصادر كتابة السيرة النبوية، مجلة مداد الآداب، العدد الثالث، الجامعة العراقية كلية الآداب.
١٨. الرافعي، مصطفى صادق، تاريخ آداب العرب، ت: درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيرت، ، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٢م.
١٩. امرئ القيس، الديوان، ت المصطاوي، ط٢، دار المعرفة بيروت، ١٤٢٥ه/ ٢٠٠٤م
٢٠. لطفي عبد الوهاب، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة الجامعية، ط٢، للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د.ت).
٢١. ديوان أبي ذؤيب، ت: أحمد خليل الشال، ط١، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد مصر، ١٤٣٥ه/ ٢٠١٤م.
٢٢. محمد بيومي مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم، ط٢، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية (د.ت).
٢٣. ناصر الدين الأسد، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، ط٧، دار الجيل بيروت، ١٤٠٩ه/ ١٩٨٨م.
٢٤. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي، دار ذوي القربي، قمّ، ط٢، ١٤٢٧ه/٢٠٠٦م.
٢٥. كتاب" أمثال العرب" للمفضل الضبي، ت إحسان ط١، دار الرائد العربي، بيروت، ١٤٠١ه/ ١٩٨١م.
٢٦. محمد إلياس عبد الغني، بيوت الصحابة حول المسجد النبوي، ط٤، (د.م) ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م.
٢٧. ديوان زيد الخيل، ت: أحمد مختار البرزة، ط١، دار المأمون للتراث، ١٤٠٨ه/ ١٩٨٨م.
٢٨. الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، ط١، دار المعارف الرياض، ١٤١٢ه/ ١٩٩٢م

ISSN : 2537-0421 eISSN : 2537-043X